

أهمية الصناعة في تقدم البلاد

المكان: طهران

الزمان: ١٣٨٩/١/٩ ش. ١٣/٤/١٤٣١ ق. ٢٩/٣/٢٠١٠ م.

الحضور: جمع من العاملين والمدراء في معامل السيارات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بارك الله السنة الجديدة عليكم جميعاً أيها الأعضاء مدراء قطاع الصناعة والناشطين الفكريين والعمليين في هذا القطاع البالغ الأهمية. نتمنى أن يوفقكم الله تعالى لتستطيعوا بشوقكم وإيمانكم التقدم ببلدكم وشعبكم إلى الأمام، وتجعلوه عزيزاً شامخاً في هذا المجال ذي الدور الكبير جداً في تقدم البلاد.

زيارتي اليوم لها فيما لها معنى رمزي. بالإضافة إلى أنها زيارة لقطاع مهم، فإن المضمون الذي نرمي إليه هو أن نلفت الانتباه إلى أهمية الصناعة في تقدم البلاد. ونقصد بالصناعة الصناعة المتفجرة والمتدفقة من أذهانكم وأفكاركم وابتكاراتكم وإيمانكم. نعتقد أن للصناعة تأثيراً أساسياً جداً في تقدم البلد. والواقع أن العنصر الأصلي لاعتبار البلد متقدماً وما يستلزمه من مقتضيات هو التقدم في الصناعة بالشروط المحددة في مواضعها، والمتعلقة بأفكار وعقائد وإيمان شعبنا وشعبكم أيها الأعضاء.

كان هناك وهم خطير في الأذهان، تم ضخه وحقنه في الأذهان - وربما لا يزال هذا الوهم موجوداً إلى الآن في بعض الأذهان وهو وهم التضاد بين الحياة العقلانية المتقدمة من ناحية، والحياة المعنوية والأخلاقية من ناحية ثانية. كان البعض قد صدقوا أنه لو أراد المجتمع أن يعيش حياة عقلانية عملية متصارعة الخطى على طريق التقدم فهو مضطر للابتعاد عن الأخلاق والمعنويات والدين والله! إذا كنا مشدودين للأخلاق ومحبين للمعنويات، وأخذنا بنظر الاعتبار الضوابط والحدود الدينية والأخلاقية، فسكون مضطرين لصرف النظر عن تقدم البلد وعن العيش حياة عقلانية! كان ثمة مثل هذا الوهم. ولهذا الوهم أسبابه التاريخية الواضحة، وله أيضاً أسبابه المرتبطة بعلم الاجتماع. ما نروم الإصرار عليه هو أن الجمهورية الإسلامية وسيادة الدين والإسلام أبطلت هذا الوهم ورفضته. نحن نريد ونستطيع أن نعيش حياة عقلانية ومنطقية وعلمية ومتقدمة، ونكون في الوقت ذاته متمسكين بقيمنا الأخلاقية وملتزمين بإيماننا الديني وعاملين بفرائضنا الدينية ومقتضيات حياتنا الدينية، بل ونتقدم في هذا الاتجاه.

الإسلام دين المعنوية ودين العلم في نفس الوقت. كان المجتمع الإسلامي في القرنين الرابع والخامس للهجرة من أكثر المجتمعات البشرية تقدماً. مفاخرنا العلمية في تلك الفترة لا يزالون يتألقون كالنجوم في سماء العلم حتى بعد مرور ألف سنة، ولكننا أصبنا بحالة من الركود والتراجع لأسباب خاصة.

مسيرتنا اليوم مسيرة تقدمية نحو الأمام. إنها مسيرة ذات قفزات واسعة

ويجب أن تكون هكذا، سواء على الصعد العلمية أو على الصعد المعنوية والأخلاقية. الصناعة بوسعها أن تكون صناعة متقدمة وتراعى فيها في الوقت ذاته الاعتبارات الدينية والأخلاقية والإنسانية. إننا نريد منكم أنتم الصناعيين في بلادنا ومدراء الصناعة أن تكونوا رمزاً ومثالاً لهذه الحقيقة، ملتزمين بالدين، وفي الوقت ذاته وبسبب الالتزام بالدين، ملتزمين بالتقدم السريع في الصناعة.

على مستوى الصناعة نحن غير قانعين بما تحقق لحد الآن. هذا مع أن ما تحقق لحد الآن يعد قيماً ومهماً للغاية. لسنا ممن لا يعرف قيمة هذه الأشياء، بل نعرف قيمتها، وقد بذلت جهود قيمة في سبيل تحقيق ما تحقق، ونحن لا نتجاهل ذلك، لا، هذه أمور محفوظة ومقدرة في محلها، بيد أنها بداية المطاف.

فيما يخص صناعة السيارات جربنا وتحملنا تخلفاً طويلاً. الميزة الكبرى التي تتميزون بها هي أنكم استطعتم قطع وتيرة هذا التخلف الطويل بهممكم، أي تغيير حالة الغفوة والخمول والنعاس التي انتابت البلاد لحوالي ثلاثين عاماً بعد دخول صناعة السيارات إلى البلاد. منذ عقد الأربعينات [الستينات من القرن العشرين للميلاد] حينما دخلت صناعة السيارات للبلاد - نحو ثلاثين عاماً تقريباً - كنا نراوح في مكاننا. بقينا في طور التقليد المحض. لا يمكن مؤاخذه مسؤولي البلاد في عقد الستينات، ذلك أن عقد الستينات هو عقد الثورة والدفاع المقدس، وعلى حد تعبير المسؤول المحترم هذه الصالة صالة تسليح الجنود. كل بيوت الشعب الإيراني كانت في الواقع سناً لساحة الحرب بشكل من الأشكال. لا يمكن تسجيل المؤاخذات على عقد الستينات، أما قبل عقد

الستينات وقبل عهد الثورة فهي فترة يمكن أخذها بالحسبان، ويجب أخذها في الحسابات. أربعة أو خمسة أعوام هي فترة الحركة التقليدية لصناعة السيارات في البلدان التي أرادت أن تكون مصنّعة للسيارات، فلماذا تطول هذه المدة هنا بهذا الشكل؟ هذه خطيئة الذين لم يفكروا بمصالح البلاد، ولم يخلصوا في أعمالهم من أجل عزة البلاد، ولم يكثرثوا لتضييع وإهدار الأرصدة المادية للبلاد. أما في نظام الجمهورية الإسلامية فقد بدأت المشوار منذ عقد السبعينات، وكان هناك تقدم إلى الأمام. هذا المحرك الوطني الذي تم تصنيعه بالكامل ابتداءً من الفكرة والتصميم إلى آخر أجزائه بفضل الفن والتقنية الإيرانية والأيدي الإيرانية والأفكار الإيرانية والمساعي الإيرانية، إنما هو رمز لعزة البلاد. هذا شيء له مغزاه العميق. القضية ليست مجرد أننا استطعنا إنتاج محرك سيارة.. القضية تتجاوز هذه الحدود. العالم اليوم ساحة سباق لأدوات مختلف أنواع المحركات، ومحرك السيارات كوسيلة دارجة من وسائل الحياة ومتداولة من قبل الجميع ومرئية بشكل يومي ودائم، هو من أبرز وأهم هذه الأنواع. في هذا العالم الزاخر بالتجاذبات والتنافس استطعنا هنا إبداء الفنون التي يستطيع الفنان الإيراني إبداعها. هذا شيء له قيمة كبيرة.

يمتلئ قلب الإنسان قبحاً حينما يتذكر أن سيارات بلادنا ولسنين طوال - سواء تلك التي كانت تستورد من الخارج أو التي كانت تنتج في الداخل حسب الظاهر - كانت تعمل فيها محركات أجنبية تماماً صنعها الآخرون وأنتجها عمال من بلاد أخرى. بدل أن نوفر العمل لعمالنا، ونستفيد من مهارتهم وننفعهم ونتقدم بالبلاد إلى الأمام، كنا في الواقع نساعد الآخرين. وفي الوقت

الراهن وفرتم أنتم والحمد له هذه الفرصة وهذه الإمكانيّة، وهنا شيء له قيمة كبيرة. إنني أقدر وأثمن عملكم الجيد هذا، ولكن كما سبق أن قلت فإنه يمثل الخطوة الأولى.

من شروط تنمية أي بلد هو استقلاله الصناعي. علينا أن نستطيع الوقوف على أقدامنا في كافة المجالات الصناعية. علينا الاعتماد على أفكارنا واستخدام قدراتنا. طبعاً العالم عالم التبادل والتعاطي، ولكن التبادل بين الجانبين. التبادل هو الأخذ والعطاء. ستكون لكم مكانتكم في سوق التبادل الصناعي حينما تقفون على أقدامكم في المجال الصناعي. هذا ما نريده ونحتاج إليه. إيران الإسلامية جديرة بهذا الشيء. بما لنا من تاريخ وتراث حضاري هائل، وبهذه الحركة الجماهيرية، وبمواهب الشباب هذه، وبكل هذه المواهب المتوفرة في بلادنا، فإننا بحاجة لهذا الشيء. ينبغي أن نعتبر راية مرفرفة في قطاع الصناعة في العالم الإسلامي. والعالم الإسلامي سوف يرحب بهذه الحالة - وسوف أشير لاحقاً إلى قضية التصدير باعتبارها من قضايانا الأساسية المهمة - وسينظر العالم إلى الجمهورية الإسلامية ويرى أن هذا الشعب بذكائه وقدراته استطاع تحقيق هذا التقدم على هذا الصعيد.

هناك عدة نقاط ومسائل في هذا المضمون أذكرها الآن. من المسائل أننا إذا أولينا الصناعة الداخلية ما تستوجب من الأهمية - وكلامنا هنا عن صناعة السيارات ويمكن أن نسحب الكلام على الميادين الأخرى - فلا بد لنا من تنظيم سياستنا في التعديل التجاري. أي إن الاستيراد المنفصل سيوجه ضربة

بالتأكيد وسترتب عليه بعض المضار - أجهزة التخطيط في البلاد والذين يرسمون السياسات التنفيذية ينبغي لهم التفتن إلى هذه النقطة. الوفرة وزهد الأسعار شيء جيد جداً، لكن الأهم والأفضل منه تنمية الصناعة الداخلية ونهوضها. ليس من الصحيح أن نفتح الأبواب للاستيراد لأسباب شتى معظمها واه وغير مقنع. لقد ذكرت للمسؤولين مراراً - المسؤولين في القطاعات الحكومية على اختلافها - أنه إذا كانت تبريراتكم ومنطقكم لزيادة الاستيراد وتسهيل استيراد البضائع الصناعية هو رفع جودة الصناعات الداخلية، فعليكم الضغط على هذا القطاع. ثمة سياسات يمكن اتخاذها، وإجبار المنتج الداخلي على رفع جودة بضائعه. أسوأ خيار لرفع جودة المنتجات الداخلية هو أن نفتح الطريق للصناعات الخارجية. هذا هو أسوأ خيار. هناك خيارات أفضل لكي نرفع جودة بضائعنا.

النقطة المهمة الأخرى هي مسألة البحث العلمي.. البحث العلمي وتنمية التقنيات. جميع الصناعات في العالم اليوم بما في ذلك صناعة السيارات، تدور حول محور العلم. إنهم يفكرون دائماً ويعملون ويبحثون علمياً من أجل استكمال هذا الجانب وإنتاج بضائع أقل عيوباً، وأجمل، وأقل استهلاكاً للطاقة وأزهد سعراً. هذا غير متاح من دون التقدم العلمي والتأمل والدقة والبحث والتحقيق. ينبغي ترك باب البحث العلمي مفتوحاً. الأجهزة المختلفة والمعامل الصناعية ومدراء الصناعة ومدراء الحكومة المشرفون على الصناعة عليهم تركيز جهودهم على قضية البحث العلمي. هذا يساعد على أن تستطيع الصناعة الحفاظ على نفسها داخل إطار الظروف التنافسية الصعبة، ولا تسقط أرضاً في

تنافسها مع المنافسين الأقوياء المتقدمين. وهذا ممكن عن طريق البحث العلمي.

ومن القضايا الأخرى المهمة في صناعاتنا ومنها صناعة السيارات، قضية التصدير. على الأجهزة الحكومية المختلفة أن تبذل جهودها لتأمين أسواق التصدير. هذه من المهام الحساسة جداً والأعمال التي تحتاج إلى فن ومهارة وجهود متنوعة ومركبة ومتعددة الجوانب. بعض بلداننا الجارة تصدر السيارات ويعود عليها هذا التصدير بمليارات الدولارات سنوياً! هذه عملية مهمة جداً. أي إن مسيرة صناعة السيارات - وأنا أذكر السيارات هنا كنموذج بارز، والقضية تشمل كل الصناعات المماثلة - يجب أن تتركز منذ البداية على فتح باب التصدير. بمعنى أنه ينبغي منذ البداية التفكير في هذا الجانب، وعلى المؤسسات الحكومية جعل أسواق التصدير وتوفير مثل هذه الأسواق أحد أهدافها.

ومن القضايا في هذا المضمار قضية البيئة - وقد سمعت هنا عبر التقارير أن ثمة اهتمام بقضية البيئة، وأريد التشديد على هذه القضية - أي إن من المؤشرات الأساسية التي يجب أخذها بنظر الاعتبار في صناعة المحركات وجميع الأجهزة والصناعات هي قضية البيئة. تخريب البيئة من الأمور التي يشعر الشعب أو المنطقة الجغرافية أو كل العالم أحياناً بضررها حينما لا تكون ممكنة التفادي والتعويض. قضية البيئة قضية مهمة جداً. وقد شدد الإسلام بدوره على البيئة ورعايتها. الحفاظ على البيئة ورعايتها قضية توصل لها العالم

مؤخراً، وقد كانت من ضمن التعاليم الإسلامية. هذه أيضاً نقطة مهمة جداً يجب التنبيه لها.

لو أردت أن أذكر بعبارة واحدة كل ما يجول في خاطري حول عملكم أيها الإخوة الأعزاء لقلت لكم إن إبداعكم وذكاءكم وجهودكم ومتابعتكم هي ضمانات غد هذا البلد، وضمانة مستقبل هذا الشعب. لا تعبوا من العمل، ولا تنصبوا من الجهد والمتابعة. نعرف بلداناً دخلت هذا الميدان بعدنا وهي الآن متقدمة علينا! هذا بسبب المتابعة وعدم الاستسلام للتعب من العمل ولأن المدراء الكبار ركزوا همهم على عدم ترك العمل. من النواقص المهمة التي شاهدها في بعض حكوماتنا طوال هذه الأعوام عدم متابعة الأمور والأعمال. يبدأون العمل بشوق واندفاع، ثم يبقى غير مكتمل! لماذا؟ لأن المدراء لا يدعمون ولا يتابعون الموضوع.. لا بد من دعم مالي وإداري وتشجيع ومتابعة ورفع للعقبات الجزئية عن الطريق. أحياناً يكون ثمة مانع صغير يعرقل عملاً كبيراً لفترات زمنية طويلة.. هذا ما تدل عليه تجارب الإنسان. شاهدنا أعمالاً كبيرة توقفت وتابعتنا المسألة وتحريتنا أسباب هذا التوقف فعلمنا أن هناك مانعاً صغيراً يعرقل العمل، ولم يبدووا همماً كافية لرفع هذا المانع الصغير، وبقي هذا المشروع العظيم معطلاً لسبب تافه. لحسن الحظ فإن الحكومة الحالية حكومة نشيطة ومتابعة وذات هممة ومخلصة، والوزير المحترم شاب نشيط متحفز. نتمنى أن تتقدموا بالعمل إن شاء الله على أحسن وجه.

والزراعة وهي مهمة جداً بالنسبة لنا، وتعدّ في رأيي ركناً أساسياً للحياة في

بلادنا، مرتبطة هي الأخرى بالصناعة. تقدم الزراعة غير ممكن من دون تقدم الصناعة. بمعنى أنني حين أؤكد على القطاع الصناعي يجب أن لا يعد هذا إنكاراً وإقصاءً للقطاع الزراعي. إنه في الواقع تأييد ومساعدة للتقدم الإجمالي في البلاد، بما في ذلك التقدم في القطاع الزراعي. إنني مصرّ على تقدم قطاع الصناعة، وهذا التقدم ممكن عن طريق البحث العلمي واستخدام الفعل والذكاء المتوقع المتوفر والحمد لله لديكم أيها الشباب الأعزاء، وفي الأيدي الإيرانية الماهرة.

أقولها لكم: إن الكثير من هذه البلدان المعروفة في العالم اليوم بصناعتها وتحلّ المراتب الأولى عالمياً، لدي معلومات وثيقة بأن معدل ذكائهم أدنى من معدل الذكاء في بلادنا! لكنهم استطاعوا عبر العمل والجهد الدؤوب أن يتقدموا. الذكاء والتمتع بالفتنة والموهبة والقدرات العقلية من العوامل المهمة جداً التي تتوفر فينا، وعلينا إرفاق ذلك بالعامل الثاني ألا وهو العمل والجد والمثابرة وعدم التعب. واعلموا أن حركة البلاد في هذه الحالة ستكون سريعة وذات قفزات إن شاء الله، وستتقدم على شكل قفزات وسيتم إنجاز أعمال كبيرة. ونلاحظ اليوم أن بلدنا يقف ضمن عشرة بلدان أو ثمانية بلدان أولى في العالم على صعد متعددة. وقد قال أحد السادة الآن إننا ضمن البلدان الستة الأولى في العالم في أحد المجالات التي نستطيع القيام بها. هذا شيء مهم جداً. هذا البلد الذي كان قبل الثورة بعيداً فراسخ عن الصناعة والإبداع والخلاقية والنشاط، ولم يكن يأمل في هذه الأشياء، ولم تكن لديه الثقة بالنفس، وصل اليوم إلى هنا. هذا شيء مهم جداً. إذن، الطريق بالنسبة لكم مفتوح، والقدرة

على القفزات متوفرة. نسأل الله تعالى أن يوفقكم ويعينكم بمشيئته.

قضية الارتباط بالجامعة التي أشار لها أحد السادة هي أيضاً على جانب كبير من الأهمية. منذ سنوات وأنا أوصي الجامعات والأجهزة الحكومية بإقامة أواصر متينة بين الصناعة والجامعة. نحن بحاجة إلى انبثاق مراكز وأقطاب جامعية تختص بالصناعات المختلفة ومنها صناعة السيارات لترشد القطاع الصناعي.

وفقكم الله تعالى وشملكم بأدعية سيدنا بقية الله (أرواحنا فداءه) وأرضى عنكم أرواح الشهداء الطيبة وروح الإمام الجليل. كان هذا اليوم يوماً طيباً بالنسبة لي وقد ارتحت لمشاهدة هذه الجهود وثمارها ونتائجها، وأشكر الله على ذلك وسوف أدعوا لكم إن شاء الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته